﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾ [الإسراء: 28]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الأمر بما ينبغي فعلُه في حال العَوَزِ، بعد الأمر بما ينبغي في حالة الوُجْدان

لمّا أمر اللّهُ تعالى بما هو الأولى في حالة الوُجدان، مِنَ التّعامل مع أولئك المُستحقّين مِن ذوي القربى ومَن بعدهم، أمر بمثل ذلك حالةَ العدم، فقال مُؤكِّدًا تنبيهًا على أنَّه ينبغي أن يكون الإعراض عنهم في حيّز الاستبعاد والاستنكار: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾[1]، فلمّا علَّمَنا اللّهُ تعالى ما نصنع في حالة الوُجد مِنَ الإيتاء لذوي القُربى واليتامى والمساكين، علَّمنا ما نصنع في حالة العَوَز؛ مِنَ الرَّد الجميل، والقول اللَّين الحَسَن[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُعۡرِضَنَّ﴾: أَصْلُ كَلِمَةِ الإعْراضِ مِنَ العَرْضِ، وَهوَ الظُّهورُ والبُروزُ، يُقالُ: عَرَضَ الشَّيْءُ وَعَرِضَ يَعْرِضُ وَيَعْرَضُ عَرْضًا، أي: ظَهَرَ وَبَرَزَ[3]، وَقيلَ: أَصْلُها مِنَ العَرْضِ، وَهوَ: خِلافُ الطّولِ، يُقالُ: اعْتَرَضَ الطَّريقَ، إذا سارَ عَرْضًا، وَسُمّيَ الرَّفْضُ إعْراضًا؛ لِأَنَّ الرّافِضَ أَظْهَرَ خِلافَ الشَّيْءِ، أَوْ لِأَنَّهُ كالواقِفِ عَرْضًا في وَجْهِ الشَّيْءِ[4]، والإعراض أيضًا: الصَّدُّ والتَّوَلّي والرَّفْضُ، تَقولُ: أَعْرَضَ عَنْهُ، أَي: صَدَّ وَتَوَلَّى عنهُ، والمُعْرِضُ: المُتَوَلّي، وَيُطْلَقُ الإعْراضُ بِمَعْنَى: الانْصِرافِ عَنِ الشَّيْءِ بِالقَلْبِ، وَضِدُّ الإعْراضِ: الإقْبالُ والانْقيادُ والطّاعَةُ[5]، والمقصودُ بالإعراضِ في الآية: الصَّدُّ والتَّوَلّي والرَّفْضُ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 406.
(2) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 83.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عرض).
(4) الأزهري، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (عرض).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (عرض).

2) ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾: أصلُ (بَغَيَ): طَلَبُ الشَّيْءِ، تَقول: ابْتَغَيْتُ الشَّيْءَ، وبَغَيْتُهُ، أَبْغيه بُغْيَةً وابْتِغاءً، أيْ: طَلَبْتُهُ[1]، والباغي: الَّذي يَطْلُبُ الشَّيْءَ الضّالَّ، وأَبْغاهُ الشَّيْءَ: طَلَبَهُ لَهُ وأَعانَهُ على طَلَبِهِ[2]، وقيل: الابْتِغاءُ هو الاجْتِهادُ في الطَّلَبِ[3]، وأَصْلُه: الإرادَةُ والقَصْدُ، يُقالُ: ابْتَغَيْتُ الأَجْرَ في عَمَلي، أي: قَصَدْتُهُ، ويأْتي بِمعنى الاتِّخاذ، تَقول: ابْتَغَيْتُ البَيْتَ سَكنًا لي، أيْ: اتَّخَذْتُهُ[4]، والمقصود بالابتِغاءِ في الآيةِ: الرَّغبةُ والطَّلَبُ.

3) ﴿تَرۡجُوهَا﴾: أصلُ الرَّجاءُ بالمدِّ: ضِدُّ اليَأْسِ، وهو التَّوَقُّعُ والأَمَلُ، وقيلَ: هو ظنٌّ يَقْتضي حُصولَ ما فيهِ مَسَرَّةٌ، أو تَعَلّقُ القَلْبِ بِحُصولِ مَحْبوبٍ مُسْتَقْبلًا[5]، يُقالُ: رَجا، يَرْجو، ورَجيَ يَرْجا، رَجاءً، وهمزَتُهُ مُنْقَلِبَةٌ عن واوٍ بِدليلِ ظُهورِها في رَجاوَةٍ[6]، والمرادُ بالرَّجاءِ في الآيةِ: ترقُّبُ الخَيرِ مع تغليبِ ظنِّ حُصولِه.

4) ﴿مَّيۡسُورٗا﴾: أصلُ الكلِمَة يَدُلُّ على انْفِتاحِ شَيْءٍ وخِفَّتِه، فاليُسْرُ: ضِدُّ العُسْرِ والمَشَقَّة[7]، والتَّيسيرُ: التَّسْهيلُ، يُقال: يَسَّرَ الأَمْرَ، إذا سَهَّلَهُ ولَمْ يُعَسِّرْهُ، سواء على نَفْسِهِ أم على غَيْرِهِ، وهو مَأْخوذٌ مِنَ اليُسْرِ، أي: السَّهل، ومَعناه: اللّينُ والانْقيادُ، يُقالُ: رَجُلٌ يَسْرٌ وَيَسَرٌ، أَيْ: حَسَنُ الانقيادِ، والمَيْسورُ: ضِدُّ المَعْسورِ، وَقَدْ يَسَّرَه اللّه لليُسرى، أَي: وفَّقَه لَها[8]، والمُرادُ بالقَولِ المَيسورِ في الآية: اللَّيِّنُ الحَسَنُ المَقبولُ عندهُم[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الخِطابُ للنَّبيِّ ﷺ، ومِن وراء خطابه خطابُ أمَّته، والآية تأديبٌ كريمٌ، وتوجيه إلى ما يكون عندما لا يكون مالٌ يجب العطاء منه، أو عندما لا يكون موجب للعطاء، يقولُ تعالى: وإنْ تُعرِضْ - يا محمد ﷺ - عن إعطاءِ الأقاربِ والمَساكينِ وأبناءِ السَّبيلِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بغي).
(2) الأزهري، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (بغي، بغا).
(3) الرّاغب، المفردات: (بغي)، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 35.
(4) الخليل، العين، والفيروزابادي، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب: (بغا، بغي).
(5) الرّاغب، المفردات: (رجا)، والمناويّ، التوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 174.
(6) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رجو، رجا).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (يسر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (يسر).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 83.

حُقوقَهم؛ لقِلَّةِ مالِك، وأنتَ تنتَظِرُ رِزقًا مِن عندِ ربِّك؛ تَرْجو أن يُيسِّرَه لك، فلا تُؤيِّسْهم مِن عَطائِك، ولا تُغلِظْ لهم القَولَ، وإنَّما قلْ لهم قَولًا حَسَنًا جميلًا، كالوعْدِ الجَميلِ بإعطائِهم، والدُّعاءِ لهم بالغِنى وسَعةِ الرِّزقِ[1].

تـأديـبُ الـلـه تعالى لعباده إذا سألهم سائلٌ ما ليس عندهم

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ العطفِ ودلالتُه:

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ معطوف على قولِه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: 26]؛ مع ملاحظة محذوفٍ؛ يرشدُ إليه مضمونُ هذه الآية المعطوفة، والتّقدير: (وابن السبيل إن كان بيدك شيء، وإمّا تُعرضنَّ)، وأمّا آية: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾ [الإسراء: 27]: فتعليلٌ لما قبلَها، واعتراضٌ بينها وبين هذه الآية، والمعنى: لا تقطع رجاءَ الفقير منك، بل إمّا أن تعطيَه إن كان معكَ شيءٌ، أو تردَّهُ بلُطف، كما كان مِن خُلُقه ﷺ، فكان إذا سُئِلَ أعطى أو وعد بالعطاء[2]، فعُطِفَ على قوله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ﴾ [الإسراء: 26] لأنَّه مِن تمامه[3].

العطف إتمامًا للمعنى، وذلك بالأمر بميسور القول في حال الفقد

دلالة ﴿وَإِمَّا﴾ معنًى وتركيبًا:

﴿وَإِمَّا﴾ هي (إنْ) المُدغمة في (ما)، الواقعة بين (إنْ) وفعل الشّرط، وهي تُفيدُ توكيدَ الإعراض بتوكيد حاله أو توكيدِ موجِبه، ولذلك لحِق الفعلَ نونُ التَّوكيد الثَّقيلة، كما تكون عند القسم[4].

توكيد الإعراض بتوكيد حاله أو توكيدِ موجِبه

وفي إدغام (إن) في (ما) تنبيهٌ لطيف؛ على أنَّ هذا الإعراضَ إنّما ينبغي أن يكون قليلًا، وأنَّ على المُكلَّفِ أن يُباعِدَ بينَه وبينَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 569، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 249، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 69، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/ 86.
(2) الصّاويّ، حاشية الصّاويّ على تفسير الجلالين: 2/ 317.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 82.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4368.

الوقوعِ في هذا الإعراضِ؛ ما استطاعَ إلى ذلك سبيلًا؛ دعوةً له إلى الاستمرارِ في مقامِ الكمالِ والإحسانِ؛ الذي سبق طلبه في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء: 23]؛ ويُصوِّرُ هذه الدّلالةَ الفَصْلُ الحاصلُ بين (ما) و (إنْ) والفعلِ ﴿تُعۡرِضَنَّ﴾، وهذا مِن دقائقِ البيانِ، ومِن دقتِه انسلالُه مِن حركة معنى سياقِ السّباق.

المُخاطَبُ بقولِه: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ﴾، ودلالتُه:

توجيهُ الخطابِ إلى النبيِّ ﷺ؛ لكونه محلَّ القُدْوة

المقصودُ بالخِطاب النَّبيُّ ﷺ؛ لأنَّه على وِزان نظم قوله: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]، فإنّ المواجهة بتعبير (ربّك) في القرآن جاءت غالبًا لخطاب النَّبيّ ﷺ، ويَعْدِلُهُ ما روي أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا سأله أحدٌ مالًا ولم يكن عنده ما يعطيه، يُعْرِضُ عنه حياءً، فنبَّهَهُ اللّهُ إلى أدب أكمل مِنَ الذي تعهده مِن قبل، ويحصل من ذلك تعليمٌ لسائر الأُمَّة[1]، فالخطابُ للنَّبي ﷺ، ومن وراء خطابه خطابُ أُمّته، وهو تأديبٌ كريم، و توجيهٌ إلى ما يكون عندما لا يكون مالٌ يجب الإعطاء منه، أو عندما لا يكون موجبٌ للعطاء[2]، وتوجيه الخطاب إليه ﷺ مِن شأنه أن يتسبَّبَ في انفعالِ قلوب أُمّته بالمطلوب، فيكونُ منهم إسراعٌ وإتقانٌ في تحقيقِه؛ محبّةً ورضًا لتوجيهِ اللّهِ ﷻ.

معنى الإعراضِ بين الحقيقة والمجاز:

الإشـــارة إلى حيائه ﷺ وكَرَمِ نَفْسِه

في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾، الإعراض في الأصل إظهارُ العُرْضِ، أي: النّاحية، فمعنى: أعرض عنه، وَلَّى مُبديًا عُرْضَهُ، وقد يكون المُراد به هُنا حقيقتَه، بناءً على ما رويَ مِن أنَّه ﷺ كان إذا سُئِلَ شيئًا ليس عندَه صرفَ وجهه الشَّريفَ وسكت[3]، حياءً منه وبسبب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 82.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4368.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 62.

عدم القُدرة على تلبية طلبه[1]، وقد يكون الإعراضُ مجازًا عن عدم النَّفع وتركِ الإعطاء؛ لأنَّ هذا شأن من لم يُعْطِ، فهو لازمٌ عُرفًا[2]، فعَدمُ النَّفعِ لازمٌ للإعراض؛ فيكون مجازًا مُرسلًا بعلاقة اللُّزوم، والمُراد بعدم النَّفع على هذا التّأويل: عدمُ القُدرة على النَّفع، لا بُخلًا بما عندَه بل انتفاءً لما يُعطيه، والقرينة عليه قولُه تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾[3]، والحَملُ على المجازِ أوسعُ وأعلى مِنَ الحمل على الحقيقة؛ لأنّ انتفاءَ النّفع أعمُّ مِن أن يكونَ بحقيقة الإعراضِ حِسًّا، هذا كونُه أوسعَ، والحملُ على الأعمِّ في البيانِ القرآنيّ الخالد في كلِّ عصرٍ ومِصْرٍ وجِنْسٍ هو الأَوْلى؛ ما لم يَدْعُ داعٍ مُعتبَرٌ إلى الحملِ على الأخصِّ، ثمّ المُحْتفَلُ به هنا هو عدمُ النّفعِ وتركُ العطاءِ، كائنًا ما كانت صورتُه وطريقتُه؛ ليتسعَ المعنى القرآنيّ لكلِّ أحوال العِباد، فقد تكون بالإعراضِ الحِسيِّ، وقد تكون بصورٍ أخرى حِسيّةٍ أيضًا، وهذا بيانُ كونِه الأعلى.

نُكْتَةُ التَّعبير بالإعراض دونَ الإدبار:

التَّوسُّط بينَ الإقبال المُطْمِع والإدبار المُوجِع

الإعراض: وسطٌ بينَ الإقبال والإدبار، والمراد: عدمُ الإعطاءِ ولكن برِفق، إذِ الإقبال مُطْمِعٌ، والإدبار موْجِعٌ، أمّا الإعراض معَ القول الحَسَنِ المَيسورِ فَمُقنِع، فقد أمر اللّهُ بالإقبال على الآباء والقرابة والمساكين وأبناء السّبيل عند التّمكّن مِنَ العطاء، والقُدرة عليه، فإن كان عَجْزٌ عن ذلك جاز الإعراض، حتّى يرحم اللّهُ بما يُعاد عليهم به، فاجعل بدلَ العطاءِ قولًا فيه يُسرٌ[4]، فالتّعبيرُ بالإعراضِ توجيهٌ إلى ما ينبغي أن يكون في حالة انتفاء المساعدة بالعطاءِ، وهذا مِن واسعِ إحسانِ اللّه إلى المُعطي والمُعطَى معًا، ورحمتِه بهما.

(1) الطّنطاوي، التّفسير الوسيط: 8/ 333.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 253، والشِّهاب، عناية القاضي: 6/ 25.
(3) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 11/ 487.
(4) ابن العربي، أحكام القرآن: 3/ 1202.

مرجع الضَّمير في ﴿عَنْهُمُ﴾، وعِلَّة إيثاره على الظَّاهر:

الاكتفاءُ بالإشارة إلى المَذكورين اختصارًا، ولِدَفْعِ تَوهُّمِ غيرِ المُرادِ

الضَّمير في ﴿عَنْهُمُ﴾ عائدٌ على مَن تَقَدَّم ذِكْرُه مِن ذَوي القُربى والمساكين وبني السَّبيل، والأصلُ أن يُذْكَر الشَّيءُ بضميرِه بعد ذكرِه باسم ظاهرٍ، والآيةُ جرَت على هذا الأصلِ؛ إذ لا داعيَ للعدولِ عنه، فأمر اللهُ تعالى نبيَّهُ في هذه الآية إذا سأله منهم أحدٌ، فلم يجد عنده ما يُعطيه، فقابله رسولُ الله ﷺ بالإعراض تأدُّبًا منه، في أن لا يَرُدَّهُ تصريحًا[1].

موقع لفظ ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ الإعرابيّ ودلالتُه:

الإشارة إلى أنَّ الإنسان لا ينبغي له قطعُ رجائه مِن خالقه

قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ مفعول لأجله، وهو عِلَّةٌ مقدَّمةٌ على المعلول، والمعنى: وإمّا تُعرِضنَّ عنهم لأجل عُسْرِكَ، فقل لهم قولًا ميسورًا؛ اعتمادًا على الله، وطلبًا لرحمة مِن ربِّك ترجوها، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ الإنسان لا ينبغي له قطعُ رجائه مِنَ الله، بل يعتمد على الله دائمًا في عُسره ويُسره، فإنَّ الغِنى هو وُثوقُ القلبِ بالله، فلا يعتمد على سبب مِنَ الأسباب، بل يتوكَّلُ على الله، ولا يقطع رجاءَه منه، ولا رجاءَ غيرِه فيه؛ ثقةً بربِّه[2].

سِرُّ المجاز في التَّعبير بالابتغاء:

الإشارة إلى أنَّ هذا الابتغاء عِلَّةُ الإعراض؛ تسبُّبًا عنِ الفقر وعدم الجِدَةِ

وُضِع الابتغاءُ موضعَ الفَقْد؛ لأنَّ فاقد الرِّزق مُبتغٍ له، فكان الفقد سببًا للابتغاء ومسبّبًا عنه، فوقع السَّبب - الذي هو الابتغاء - موضعَ المُسَبَّب الذي هو الفقد[3]، فهو مجاز مرسل بعلاقة السَّببيَّة، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ هذا علّةُ الإعراض لانتظار الرّزق، لأنَّ فاقد المال يطلب رحمةَ الله وإحسانَه، فلمّا كان فَقْدُ المال سببًا لهذا الطَّلب، سُمِّيَ الفقرُ بابتغاء رحمةِ الله تعالى، والمعنى: أنّ عند حصول

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 450.
(2) الصّاويّ، حاشية الصاويّ على تفسير الجلالين: 2/ 317.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 407، وملّا حويش، تفسير القرآن العظيم: 2/ 478.

الفقر والقِلَّة، لا تترك تعهُّدَهم بالقول الجميل، والكلام الحسن، بل تَعَهّدْهم بالوعد الجميل[1]، ولا تنشغل بهذا الابتغاء، وفي اصطفاءِ الابتغاءِ: إشعارُ المخاطَبِ بفقره وعظيم احتياجِه للرّزق؛ مِمّا جعلَه يطلبُه بقوّةِ رغبةٍ وعظيمِ إقبالٍ؛ ليتذكَّرَ حالَ ذوي القُربى والمساكينِ وابنِ السبيل، فيُحتِّمَ على نفسِه إرضاءَهم وجبْرَ خواطرهم، ولو بالشّيء القليل مِنَ المال، ولو بالقول الميسور.

موقع الابتغاء من مُتَعلَّقات الشّرط والجواب:

لإفـادة عِـلّـيَّـةِ الإعـــراض، وإفـادةِ ابتغاءِ رحمةِ الله، مِن خـلال الرَّحـمـة بخَلْقه

قوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ إمّا أن يتعلَّق بجواب الشَّرط مُقدَّمًا عليه، أي: فقل لهم قولًا سَهْلًا لينًا، وعِدْهم وَعْدًا جميلًا، رحمةً لهم، وتطييبًا لقلوبهم؛ ابتغاءَ رحمةٍ مِن ربِّك، فابتغِ رحمةَ اللّهِ التي ترجوها برحمتك عليهم، وإمّا أن يتعلَّق بالشَّرط؛ فيفيد عِلّيَّةَ الإعراضِ، أي: وإن أعرضت عنهم لفقد رزقٍ مِن ربِّك ترجو أن يُفتَح لك، فَردَّهم ردًّا جميلًا[2].

واستُشكِل جَعْلُ ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ من متعلّقات الشّرط، بأنّا مأمورون بالرّدّ الجميل إن انتظرنا شيئًا يحصل لنا أو لم ننتظر، وأُجيبَ: بأنَّ المُراد بالقول الميسور الوعدُ بالعطاء عند رجاء حصول الخير؛ لأنَّه أطيبُ لنفس السّائل، فيكون مفادُ الآية: لا تَعِدوا إلّا إذا كنتم على رجاءٍ مِن حصول ما تَعِدون به، فالتَّقييد بالابتغاء في غاية المُناسبة للشَّرط، لأنَّه لا يحسُن الوعدُ عند عدم الرّجاء؛ لما أنّه يؤدّي إلى الإخلاف[3].

دلالة التَّعبير عن الرِّزق بالرَّحمة مجازًا مرسلًا:

بيان كون الرِّزق الحَسَنِ من آثار الرَّحـمـة، وأنَّـه نعمة إنْ قُوبلت بالشُّكر

الرَّحمة المَرجوَّة مِن الله: هي الرِّزق المُنتَظَرُ من فضله ﷻ، والمعنى: وإن أعرضت عنهم لفقد رزقٍ مِن ربِّك ترجو أن يُفتَح لك،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 329.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 661.
(3) ابن جماعة، كشف المعاني: 232، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 62.

فسُمّيَ الرِّزق رحمة[1] مجازًا؛ لأنَّه مِن آثارها وهو مجازٌ مرسل؛ إقامةً للمُسبَّب مُقامَ السّبب؛ فإنّ الفَقْد سببٌ للابتغاء[2]، وهذا المَجازُ يَدُلُّ على أنَّ الرِّزق الحسن نعمةٌ إذا قوبلت بالشُّكر[3]، وفي اصطفاءِ الرّحمةِ: تليينٌ لقلبِ المُخاطَبِ، واستعطافٌ له؛ ليُحْسِنَ مع هؤلاء الأصناف إمّا بعدم الإعراض، وإمّا بالقول الميسور؛ بما فيه مِن تذكيرِه بافتقارِه إلى تلك الرّحمة الرّبّانية؛ فهم كذلك يبتغون هذه الرّحمةَ مِن خلالِك، كسببٍ يسخِّرُه اللّهُ لهم.

سِرُّ إضافة الرّحمة إلى الرّبِّ:

تقوية الرَّجاء في رحمة الله والصَّبر في تحصيلها

أُضيفت الرّحمةُ إلى الرّبّ في المعنى دون اللّفظ في هذا الموضع؛ لوجوه مِنَ المعنى:

الأوّل: تقوية رجائه، فإنَّه يعلم سعةَ رحمةِ الله وغَمْرِه بها في كُلِّ حين، ومَن ذا الذي لم يجد نفحاتِ الرَّحمات في أكثر الأوقات، وفي أحرج السّاعات؟.

والثّاني: بعثه على الصَّبر والتَّسليم وعدمِ الضَّجر والسَّأم مِنَ الطَّلب والانتظار، فإنَّها رحمة الرَّبِّ، ومِن مقتضى ربوبيَّته تدبيرُه للخَلْق بحِكْمته، فما جاء منه، كيف جاء، وفي أيّ وقت جاء، أبطأ أم تأخّر، هو مقبولٌ منه محمودٌ منّا عليه.

والثّالث: بعثُ عاطفةِ الرَّحمة على غيره، فإنَّ من كان يرجو رحمةَ ربِّه جديرٌ بأن يكون رحيمًا بعباده، ورحمتُه بعباد الله تُعينه على القيام بما أُمِرَ به مِن حُسن المَقال عند العُسر، وجميل النَّوال عند اليسر؛ وتكون سببًا له في رحمة الله إيّاه، والرّاحمون يرحمُهم الرَّحمن، وإنَّما يرحم الله مِن عباده الرُّحماء[4].

(1) الشِّهاب، عناية القاضي: 6/ 25.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 422.
(3) ابن جزي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 1/ 445، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 476.
(4) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 84.

سِرُّ تنكير ﴿رَحۡمَةٗ﴾:

الدَّلالة على التَّفخيم والتَّعظيم لشأن هذه الرَّحمة

جيءَ بالتَّنوين والتَّنكير في لفظ: ﴿رَحۡمَةٗ﴾؛ للدّلالة على التَّفخيم والتَّعظيم لشأن هذه الرَّحمة؛ بقرينة إضافتها إلى الرّبِّ تعالى؛ لأنَّ كُلَّ ما جاء مِن الرَّبِّ العظيم فهو عظيم.

الموقع الإعرابيُّ لقوله: ﴿رَحۡمَةٗ﴾، ودلالتُه:

قولُه: ﴿رَحۡمَةٗ﴾ مضافٌ إلى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾، وهي موصوفٌ صفتُها محذوفةٌ، والتّقدير: (رحمةٍ كائنةٍ مِن ربّك)، والفَرقُ بينَ: ﴿رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم: 2]، و﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾: أنّ الأوّل قد يُفْهِم أن هذه الرّحمة معهودة للمخاطَب، وهذا غير مراد، وأمّا: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾: فيَلْفِتُ إلى معنًى مِن شأنه أن يُحرِّكَ عاطفةَ الإحسان والإكرام في قلب المخاطَب تجاه ذوي القُربى ومَن ذُكِر معهم؛ وهو أن هذه الرّحمةَ لا تكون إلّا مِنَ الرّبّ ﷻ، ففي هذا النّظم: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ تذكيرٌ بذلك؛ فينشأ عنه رِقّة القلب، ولينُ المعاملة وحُسْنُها، وأمّا الإضافة اللّفظية في: ﴿رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم: 2]: فتتضمّن أنّ هذه الرّحمةَ هي رحمة الرّبّ، ولا تكون إلّا منه، لكنّها لا تَلْفِتُ بقوّةٍ إلى هذا المعنى، كما يلفتُ إليه هذا النّظمُ: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾.

دلالة تقديم شبه الجملة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على ﴿تَرۡجُوهَا﴾:

الاهتمامُ بالمُقَدَّم، والتَّشويقُ إلى المُؤَخَّر، وتوكيد المطلوب

في تقديم شبه الجملة: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على جملة: ﴿تَرۡجُوهَا﴾ اهتمامٌ بالمُقَدَّم، فهو سبحانه مُنزلُ الرَّحمات، والمُتَفَضِّلُ على عباده بالأرزاق والهِبات، وفي تأخير فعل الرَّجاء تشويقٌ إليه بذِكره بعد عنوان الرُّبوبيَّة المُفضيَة إليه والمُرَغِّبة فيه؛ إشعارًا باشتياقِ ذوي القُربى ومَن ذُكِر معهم إلى فضلِ الله، مِن خلالِ المخاطب بالآية، وقد نتج عن هذا النّظم - تقديمًا وتأخيرًا - توسُّطُ ذِكرِ الرّبِّ ﷻ بين الرّحمة والرّجاء، فيُقرّر النّظمُ ويؤكّدُ مصدريَّةَ الرّحمةِ والرّجاءِ، وأنّهما مِن قِبَل الله تعالى؛ إبلاغًا في طلبِ الإحسان مِنَ المخاطَب في

معاملة هذه الأصنافِ بعدم الإعراض، أو بالقول الميسور، ولمّا قُدِّم: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ أفاد بالانضمام إلى الرّحمة: ﴿رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ أنّ هذه الرّحمة كائنةٌ مِنَ الله، ومِثْلُ رحمةِ الله هي التي تُرْجَى، فتأخَّر قولُه: ﴿تَرْجُوهَا﴾؛ ليكون كالنّتيجة لما قبلَه؛ فيكون في ذلك تعليلٌ لطلب الرّفق والإحسان في معاملة هؤلاء الأصناف؛ فإنّهم يرجون رحمةَ اللهِ منه فيكَ أيّها المخاطَب، ومِن خلالك، أو يكون المعنى: عليهم أن يَرجوا هذه الرّحمة مِنَ الله أوّلًا، ثمّ مِن خلالك كسببٍ ثانيًا.

سِرُّ التَّعبير بمفردةِ الرَّجاء:

آثَر النَّظمُ مفردةَ الرَّجاءِ في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ لمناسبة معاني السّياق؛ فإنَّ سبب الإعراضِ هو فَقْدُ الرّزق؛ ممّا ترتّب عليه ابتغاؤه، فالسّياقُ سياقُ سعي؛ للحصولِ عليه بالأسبابِ، فهو في دائرة الممكن، والشّيءُ المَرجوّ متوقَّعٌ ومأمولٌ، قال ابن منظور: "الرّجاء مِنَ الأمل، نقيض اليأس"[1]، وقال الرّاغب: "والرّجاء ظَنّ يقتضي حصولَ ما فيه مَسرّة"[2]، والطّمعُ قائم على كون الشّيء المطلوب غيرَ متوقَّعٍ؛ لكون الطّالب عادِمًا السّببَ المُؤدّي إليه، أو أنّ لديه السّببَ، لكنّه لا ينظر إليه ولا يعتبره ولا يعتدّ به، قال البقاعيُّ: "والطّمع تعلّقُ البالِ بالشّيء، من غير تقدّم سببٍ له"[3]، والطّمع ليس مرادفًا للرّجاء؛ لأنّ لكلّ منهما خاصيّة تُميّزُه عن غيره، فالشّيء الذي يُطمَع فيه قد يكون حصولُه متوقَّعا وقريبًا، ولهذا قالوا: إنّه يُستعمَل بمعنى الأمل، وقد لا يكون كذلك، ولهذا قالوا: "ومِن كلامهم: طَمِعَ في غير مطمَع، إذا أَمّل ما يبعُد حصولُه؛ لأنّه قد يقع كلّ واحد موقعَ الآخَرِ؛ لتقارب المعنى"[4].

السّعي إلى تحصيل الرّزق بالأسباب، وتجديدُ تَعليقِ القلب بالله

(1) ابن منظور، لسان العرب: (رجا).
(2) الرّاغب، المفردات: (رجا).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/ 485.
(4) الفيوميّ، المصباح المنير: (طمع).

نُكْتَةُ التّعبيرِ بفعل الرَّجاءِ مُضارعًا:

دَيمومَةُ الرَّجاءِ دليلُ ثباتِ الإيمانِ ونفيِ الخُذلان

جاء التَّعبيرُ بصيغةِ المضارع ﴿تَرْجُوهَا﴾؛ للإيماءِ إلى أنّ الإنسان ينبغي أن يُجدِّد تعليقَ قلبِه بربِّه طمعًا في فضله، ويستمرَّ على هذا في سائر أحواله، فلا ينبغي له قطعُ رجائِه مِنَ الله، بل يعتمد على الله دائمًا في عُسْره ويُسْره، فإنَّ الغنى هو وُثوقُ القلبِ بالله، فلا يَعتمِد على سبب مِنَ الأسباب، بل يتوكّلُ على الله، ولا يقطع رجاءَه منه، ولا رجاءَ غيره فيه؛ ثقةً بربِّه[1].

دلالة التَّعبير باسم الرَّب دون غيره:

تربيةُ المهابةِ في القلوب، وتقريرُ عَظَمةِ صفاتِ الرَّبِّ وأفعالِه

في التّعرُّض لعنوان الرُّبوبيَّة، المُنبئَة عن حُسْن التَّربية والإنعام، وتعاهُدِ العَبد بالتَّفضُّل والإكرام، تربيةٌ للمهابة في القلوب، وتقريرٌ لعَظَمة صفاتِ الرَّبِّ وأفعالِه سبحانه، فهو الرّازق الخالق المُدَبِّر، لا رَبَّ سواه، ولا إلهَ إلّا إيّاه، وفي خصوصِ التّعبيرِ به أيضًا: اللّفت إلى أنّه تعالى المُحْسِنُ الأوّلُ، والمُحسنُ الحقيقيُّ، ومن إحسانِه أن تُحْسِنَ إلى ذوي القُربى ومَن معهم؛ لأنّه مصدرُ كلِّ إحسانٍ ﷺ، فيُقبِلُ المُخاطَبُ على الإحسان إليهم، باذلًا كلَّ ما يملك؛ في سبيل إرضاء ربّه المُحسنِ سبحانه.

سِرُّ الإضافة إلى ضمير الرَّسول ﷺ:

تشريف النَّبيّ ﷺ، وإظهار اللُّطف به

في إضافة الرّبّ إلى ضميره ﷺ مزيدُ تشريفٍ له ﷺ، وإظهار للُّطف به ﷺ؛ لأنّ الرّسول كان يسكت عن إجابة الطّالب حياءً؛ فَسَرَّه اللّهُ وتلطَّفَ معه في الخطابِ في هذا السّياق؛ بتذكيرِه بإحسانه إليه، وأنّه ﷺ محلُّ الإحسان العظيم مِن ربّه، وفي هذه الإضافة أيضًا: إرشادٌ له ﷺ إلى أن يترقَّى في باب الإحسان والإنعام المُشارِ إليه بالتّعبير بالرّبِّ؛ لأنّ السّورة سورةُ الإحسان، ولأنّه الأهلُ للمعيّة المَذكورةِ في مقطع سورة النّحل بعد أمره بالصّبر، ونهيه عنِ الحُزن

(1) الصّاوي، حاشية الصّاويّ على تفسير الجلالين: 2/ 317.

والضّيق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: 128]، وعلى أُمّته التَّأسي به في طلب الدّخول في زمرة المتّقين المحسنين.

براعة إدماج الأغراض مِن ضروب الإيجاز القرآنيّ:

بـيـانُ شَـرطَـي الإعـــراض أن يـكـون لابـتـغـاء الـــرّزق، وأن يكون بقولٍ ليّنٍ لطيف

شُرِطَ الإعراضُ بشرطين: أن يكون إعراضًا لابتغاء رزقٍ مِنَ اللّه، أي: إعراضًا لعدم الجِدَة، لا إعراضًا لبخل عنهم، وأن يكون معه قولٌ ليّن في الاعتذار، وعُلِمَ من قوله: ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ﴾ أنَّه اعتذار صادق، وليس تَعَلُّلًا، فقوله: ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ﴾ حالٌ مِن ضمير ﴿تُعۡرِضَنَّ﴾ مصدر بالوصف، أي: مُبتغيًا رحمةً مِن ربِّك، و﴿تَرۡجُوهَا﴾ صفة ل ﴿رَحۡمَةٖ﴾، والرَّحمة هُنا هي الرِّزقُ الذي يتأتَّى منه العطاءُ بقرينة السّياق، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الرِّزق سَبَبٌ للرَّحمة؛ لأنَّه إذا أعطاه مُسْتَحِقَّه أُثيبَ عليه، وهذا إدماج[1]، فَسَمَّى الرِّزق رحمة، ووضع الابتغاء موضع الفقد؛ لأنَّ فاقد الرِّزق مُبتغٍ له[2]، وهو كناية عن حالة العَوز والإعسار؛ لأنَّ شأن المُعْوِزِ المؤمنِ أن يكون كذلك[3]، وهذا الإدماج ضَربٌ مِن ضروبِ الإيجاز القرآنيّ.

مِن فوائد جواب الشَّرط:

تـأديـب المـؤمـن بإحسان القول في حال الفَقد

يدلُّ المعنى الظّاهر لجوابِ الشّرط: ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ ما هو تأديبٌ للمؤمن إن كان فاقدًا ما يبلغ به إلى فعلَ الخير؛ بأن يرجو مِنَ اللّه تيسيرَ أسبابه، وألّا يَحْمِلَه الشُّحُّ على السُّرور بفقد الرِّزق للرّاحة مِنَ البذل، بحيثُ لا يَعْدَم البذلَ الآن إلّا وهو راجٍ أن يُسَهّل له في المستقبل؛ حرصًا على فضيلته، وأنّه لا ينبغي أن يُعْرِض عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل إلّا في حال رجاء حصولِ نعمةٍ، فإن حصلت أعطاهم[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 83.
(2) النّيسابوري، غرائب القرآن: 4/ 343.
(3) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 83.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 83.

دلالة الأمر بالقول في: ﴿فَقُل لَّهُمْ﴾:

النَّهي عن الإعراض المُورِّث للدَّهشة والوَحْشَةِ

قوله تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ﴾ الأمر بالقول هُنا مُستلزِمٌ لعدم الإعراض، والمعنى: وإن أردتَ الإعراض عنهم حياءً مِنَ الرَّدِّ - أي: رَدِّ السّائل - فلا تفعل الإعراضَ لأنَّه يورِث الدَّهشةَ و الوحشة، بل قل لهم قولًا لينًا جميلًا[1]، وفي هذا مِنَ الإيجاز ما فيه، وبه يتحَقّق الرّبطُ بين جُزئي الآية؛ مِن توكيد الثّاني للأوّل.

فائدةُ الإرشاد إلى القول الميسور:

بيانُ أنَّ القول الجميل يَسُدُّ مَسَدَّ العطاء الجميل عند تَعَذُّرِه

من لطائف الإشارة في الآية كونها تُشيرُ إلى خُلُق الكَرَم فيه ﷺ، فهي تُشير إلى أنَّه ﷺ لا يُعْرِض عنِ الإعطاء إلّا عند عدم ما يُعطي منه، وأنَّ الرِّزق المنتظرَ إذا يَسَّره اللّهُ فإنَّه يُعطيهم منه، ولا يُعْرِضُ عنهم، وهذا هو غاية الجود وكَرم الأخلاق[2]، ويستوي في هذا كونُ القولِ الميسور وعْدًا بالعطاء؛ إذا تيسَّرَ، وكونُه غيرَ ذلك.

عِلَّةُ وصفِ القولِ بالميسور دونَ (المعروف):

إيناسُ المحتاج؛ لِما به مِن وَحْشةِ الاحتياج

في تفسير القول الميسور في هذا الموضع وجوه:

الأوَّل: أنَّه الرَّدُّ بالطَّريق الأحسن، **والثّاني:** أنَّه القول اللَّين السَّهلُ، قال الكسائيُّ: "يسرت أُيَسِر له القولَ، أي: لَيَّنتُه له"، **والثّالث:** أنَّ القول الميسور مثلُ قولِه: ﴿*قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: 263] قالوا: والميسور هو المعروف؛ لأن القول المُتعارَف لا يُحْوِجُ إلى تكلّف، فهو يسير[3]، وقيل: القول الميسور الدّعاء لهم بالميسور، وهو اليُسر، مثل: أغناكم اللّه تعالى، ورزقنا اللّه وإيّاكم[4]، فالمعنى: ادعُ لهم بأن يُسَهّل اللّهُ عليهم أسبابَ الرّزق، أي: دعاءً فيه

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 11/ 487.
(2) الشّنقيطي، أضواء البيان: 3/ 365.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 329.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 253

يُسْرَة[1]، أو: أنَّه يُيسّر عليهم فقرَهم بدعائه لهم[2]، والظّاهر شُمولُ القولِ الميسور لكلِّ هذه المعاني، فيُؤْنِسُه بالقول الميسور، وهو الذي فيه التَّرجية بفضل الله تعالى، والتَّأنيسُ بالميعاد الحَسَن، والدُّعاءُ بِتَوْسِعَةِ الله ﷻ، وعطائه[3].

لطيفةٌ في التَّنبيه بالأدنى على الأعلى:

التَّنبيه على لُزوم الفعل الأجمل بالأمر بالقول الميسور

إنّك أيّها الإنسانُ، إن أمسكت لضيق ذات يدك عن أن تُؤدّيَ حَقّ ذي القُربى والمساكين وابن السَّبيل، مُنتظرًا رزقًا وسعةً في الرِّزق مِنَ الله، فلا يمنعنَّكَ هذا مِن أن تُحسن إليهم بالكلمة الطَّيِّبة[4]، وهذا أقلُّ ما يُحْمَلُ عليه القولُ الميسورُ في قوله تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

سِرُّ الاستعارة في التَّعبير بالميسور بدلَ المَقبول:

تصوير القول المقبول بالشَّيء اللَّيِّن لسُهولته

القول الميسور هو اللَّيِّنُ الحَسَن المقبول عندهم؛ فقد شبَّه المقبولَ بالمَيسور في قبول النَّفس إيّاه؛ لأنَّ غير المقبول عسيرٌ، بطريق الاستعارة التَّصريحيّة التَّبعيَّة، فأمر اللّهُ بإرفاق عدم الإعطاء لعدم المَوْجَدَة، بقول ليِّنٍ حَسَنٍ بالاعتذار والوعد عند المَوْجَدَةِ، لئلّا يُحْمَلَ الإعراضُ على قِلّة الاكتراث والشُّحِّ[5].

دلالة صيغة (مفعول) في ﴿مَّيْسُورًا﴾:

جَعْلُ القولِ ميسورًا؛ لطفًا بالمُحتاجين

والميسور: اسم مفعول مِنَ اليُسر، وهو السُّهولة، وفعله مبنيٌّ لما لم يُسَمَّ فاعلُه، يُقال: يُسِرَ الأمرُ - بضم الياء وكسر السّين - كما يقال: سُعِدَ الرَّجلُ ونُحِسَ، والمعنى: جُعِلَ يَسيرًا غيرَ عسير[6]، واسم المفعول يأخذ حكمَ الفعل الماضي، فهو يدلُّ على وقوع الفعل على

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/ 343.
(2) خواجة الأنصاريّ، كشف الأسرار: 5/ 545.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 450، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/ 456.
(4) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 476.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 83.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 83.

المفعول في الزّمان الماضي، قال الطّوفيُّ: "ومِن لواحق ذلك: العدولُ عنِ المستقبل إلى اسم المفعول؛ لِتَضَمُّنِهِ معنى الماضي"، والمخاطَبُ مأمورٌ بأن يقول هذا القول الميسور، فهو لمّا يقَع، ووقوعُه سيكونُ في المستقبلِ؛ بالنّسبة لزمان الخطاب، فكان التّعبيرُ بصيغة: (مفعول) على خِلافِ الأصل والظّاهر؛ دلالةً على ضرورةِ تحقُّقِ كينونةِ هذا القولِ الميسورِ؛ لأن حالَ ذوي القُربى والمساكين وابن السبيل يقتضيهِ.

وقيل: الميسور مصدر، وجُعِلَ صفةً مبالغةً، أو بتقدير مُضاف، أي: قولًا "ذا يُسْرٍ؛ يشرحُ صُدورَهم، ويبسطُ رجاءَهم؛ لأنَّ ذلك أقربُ إلى طريق المتَّقين المحسنين"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الصَّدُّ والإعراض:

الصَّدُّ: هو المنْع عن قصد الشَّيءِ خاصَّة، ولهذا قالَ اللّه تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: 34] أي: يمنعون النّاسَ عن قصده[2].

والإعراضُ: الإضراب عنِ الشَّيء، يُقال: أخذتُ عُرْضًا، أي: جانبًا غيرَ الجانبِ الذي هو فيه[3].

ويأتي الصَّدُّ بمعنى الإعراض، من ذلك قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النّساء: 61]، فالصَّدُّ: هو العدول عن الشَّيْء بقصد الصَّرْف والمنْع، والإعراضُ أعمُّ[4].

الصَّدُّ هو العدول عن الشَّيء بقصد المنع، والإعراضُ مُجرَّدُ الإضرابِ عنِ الشَّيء

الطَّمَعُ وَالرَّجَاءُ وَالْأَمَل:

حاصل كلام اللُّغويّين: أنَّ بين الألفاظ الثَّلاثة تقاربًا دلاليًّا؛ إذ جميعُها دالٌّ على توقُّع الخَيْر، إلّا أنَّ الأمل يتميَّز بمَلْمَح طولِ الزَّمن

الطَّمع رجاء قويٌّ متضمِّنٌ لمعنى الحِرص، والأمل يتميَّز بمَلْمَحِ طُولِ الزَّمن وبُعْدِ المطلوب

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 406.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 114.
(3) المناويّ، التّوقيف، ص: 56.
(4) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 28.

وبعد المطلوب؛ لأنَّ أصل مادَّته دالَّة على التَّثبُّت والانتظار[1]، كما أنَّ الأملَ يغلبُ عليه الفألُ الحَسَنُ، والتَّأمّلُ هو التَّثبُّت، وأمَلَةُ الرَّجلِ: أعوانه[2]، وسُمّوا أمَلَةً؛ لأنَّه بهم يحصلُ الخيرُ ويثبت، أمّا الرَّجاءُ فقد يَرِدُ لمعانٍ تُبعده عن نظيرَيْه – الطَّمع والأمل –، كمجيئه في معنى الخوف والمبالاة، كما في قول الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: 13] أي: لا تخافون للّهِ تعالَى عَظَمَةً[3]، وهو ظَنٌّ "يقتضي حصولَ ما فيه مَسَرّة"[4]، وبهذا يتقارب مع الأمل، إذ كلاهما فيه مَسَرَّةٌ وفألٌ، إلّا أنَّ الأمل معذوقٌ بمعنى التَّثبت، وأمّا الطَّمع فيتميَّز بقوَّة الرَّغبة، وقربِ المطلوب والحرصِ عليه[5]، فالطَّمع: رجاء قويٌّ مُتَضَمِّنٌ لمعنى الحرص، ويغلبُ في الاستعمالِ أن يكون فيما لا خيرَ فيه، ولهذا ورد عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: "تعلَّمُنَّ أَن الطّمعَ فَقْرٌ، وَأَنَّ اليَأْس غنًى"، ولهذا قيل في الطَّمعِ: "تَعَلّقُ البالِ بالشّيء من غير تقدّم سببٍ له"[6]، وَيُقال: ما أطمع فلانًا، على التَّعَجُّب من طَمَعه[7].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمل).
(2) الأزهري، تهذيب اللّغة: (أمل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رجو).
(4) الرّاغب، المفردات: (رجا).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (طمع)، ومحمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 71 - 74.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/ 485.
(7) الأزهري، تهذيب اللّغة: (طمع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»